فلسطين في خطاب الثورات والصاعدين الجدد إلى دوائر القرار العربي

د. يحيى أبو زكريا
أكاديمي و باحث من الجزائر

إعاد الربيع العربي إنتاج الأسئلة الفلسطينية التي واكبت مسار الصراع العربي- الإسرائيلي منذ تأسيس المشروع الصهيوني بمساعدة المركزية الغربية، ونشأت معادلة ستراتيجية من رحم التطورات العربية مفادها أنّ شرعية أيّ ثورة عربية في الجغرافيا العربية مقتبسة من قرب هذه الثورة أو تلك من القضية الفلسطينية، التي كانت على الدوام الغطاء الشرعي لكل حركات التغيير في الوطن العربي.

وفي بداية الحراك العربي أستغرب الكثيرون من الانغماس في القطرية الضيقة، ورفع الشعارات الاجتماعية والاقتصادية والسياسة المغرقة في تفاصيل المسلكية الرسمية، وعدم حضور القضية الفلسطينية بشكل واضح في خطاب بعض الثوار.

وللإشارة فإن الثورات والانقلابات العربية في القرن العشرين، كانت تنطلق من القضية الفلسطينية لإضفاء الشرعية على دورها السياسي والقومي. وقد أرجع العرب والفلسطينيون هزيمة 1948 إلى: التخلّف العربي الصادر عن إرث استعماري طويل، خيانة أو تقاعس السلطات العربية.

أرجع العرب والفلسطينيون هزيمة 1948 إلى: التخلّف العربي الصادر عن إرث استعماري طويل، خيانة أو تقاعس السلطات العربية

وتشير بيانات الانقلابات العربية في أواسط القرن الماضي، إلى أن الداعي إليها، كان الانهيار الكبير في الملف الفلسطيني، واستحواذ قوى الإمبريالية على مقدرات الأمة العربية والإسلامية.

فبيان ثورة 23 يوليو - تموز المصرية الذي تلاه اللواء أركان حرب محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة:

إلى الشعب المصري

اجتازت مصر فترة عصيبة في تاريخها الأخير من الرشوة والفساد وتحدم استقرار الحكم. وقد كان لكل هذه العوامل تأثير كبير على الجيش. وتسبب المرتشون والمغرضون في هزيمتنا في حرب فلسطين. وأما فترة ما بعد هذه الحرب فقد تضافرت فيها عوامل الفساد وتآمر الخونة على الجيش وتولى أمره، إما جاهل أو خائن أو فاسد، حتى تصبح مصر بلا جيش بحميها.

بيان ثورة 23 يوليو: تسبب المرتشون والمغرضون بهزيمتنا في حرب فلسطين، ثم تآمر الخونة على الجيش.

وعلى ذلك فقد قمنا بتطهير أنفسنا، وتولى أمرنا في داخل الجيش، رجال نثق في قدرتهم وفي خلقهم وفي وطنيتهم، ولابد أن مصر كلها ستتلقى هذا الخبر بالابتهاج والترحيب. أما من رأينا اعتقالهم من رجال الجيش السابقين، فهؤلاء لن يناله ضرر وسيطلق سراحهم في الوقت المناسب، وإني أؤكد للشعب المصري أن الجيش اليوم كله أصبح يعمل لصالح الوطن في ظل الدستور، مجرداً من أي غاية. وأنتهز هذه الفرصة فأطلب من الشعب إلا يسمح لأحد من الخونة، بأن يلجأ لأعمال التخريب أو العنف، لأن هذا ليس في صالح مصر، وأن أي عمل من هذا القبيل سيقابل بشدة لم يسبق لها مثيل، وسيلقى فاعله جزاء الخائن في الحال. وسيقوم الجيش بواجبه هذا متعاوناً مع البوليس. وإني أطمئن إخواننا الأجانب على مصالحهم وأرواحهم وأموالهم، ويعتبر الجيش نفسه مسؤولاً عنهم والله ولي التوفيق[1].

1 - بقلت بيان محمد نجيب بعد ثورة أم واجهة حركة بدر للنشر القاهرة 2008.

والحركة التصحيحية التي قام بها الرئيس السوري السابق حافظ الأسد، هي حركة تغييرية انقلابية في سوريا، قام بها وزير الدفاع حافظ الأسد ورئيس الأركان مصطفى طلاس في 16 تشرين الثاني - نوفمبر 1970، وعين على أثرها أحمد الحسن الخطيب رئيساً للجمهورية مؤقتاً، وصل بعدها حافظ الأسد إلى سدة الحكم[2]. وكانت من الحركات العربية التي أولت القضية الفلسطينية أهمية قصوى، وهيأت الأجواء لحرب تشرين التحريرية. أما ثورة 14 تموز 1958 العراقية، والتي عرفت بحركة أو انقلاب 14 تموز 1958، التي أطاحت بالمملكة العراقية، حيث كان الملك فيصل الثاني ملكاً على العراق. وقد كان بيانها منذداً بالحركة الاستعمارية والتآمر الدولي على العالم العربي، وقد ورد في البيان:

الحركة التصحيحية كانت من الحركات العربية التي أولت القضية الفلسطينية أهمية قصوى، وهيأت الأجواء لحرب تشرين التحريرية.

2 - هاشم عثمان، تاريخ سوريا الحديث، دار رياض، حديث الزمان، دمشق.

البيان رقم واحد
صادر من القائد العام للقوات المسلحة الوطنية
بسم الله الرحمن الرحيم
أيها الشعب الكريم

بعد الاتكال على الله وبمؤازرة المخلصين من أبناء الشعب والقوات الوطنية المسلحة، أقدمنا على تحرير الوطن العزيز من سيطرة الطغمة الفاسدة التي نصبها الاستعمار، لحكم الشعب والتلاعب بمقدراته وفي سبيل المنافع الشخصية. إن الجيش منكم وإليكم، وقد قام بما تريدون وأزال الطغمة الباغية التي استهترت بحقوق الشعب، فما عليكم إلا أن تؤازروه. واعلموا أن الظفر لا يتم إلا بترحيبه، والمحافظة عليه من مؤامرات الاستعمار وأذنابه. وعليه فإننا نوجه إليكم نداءنا للقيام بأخذ السلطات عن كل مفسد ومسيء وخائن لاستئصاله. ونطلب منكم أن تكونوا يداً واحدة للقضاء على هؤلاء والتخلص من شرهم. (حركة تموز 1958).

أيها المواطنون: إننا في الوقت الذي فيه تكبر فيكم الروح الوطنية الوثابة والأعمال المجيدة، ندعوكم إلى الإخلاد والسكينة والتمسك بالنظام والتعاون على العمل المثمر في سبيل مصلحة الوطن.

أيها الشعب:

لقد أقسمنا أن نبذل دماءنا بكل عزيز علينا في سبيلكم، فكونوا على ثقة واطمئنان، بأننا سنواصل العمل من أجلكم، وأن الحكم يجب أن يعهد إلى حكومة تنبثق من الشعب وتعمل بوحي منه، وهذا لا يتم إلا بتأليف جمهورية شعبية تتمسك بالوحدة العراقية الكاملة، وترتبط برباط الأخوة مع الدول العربية والإسلامية، وتعمل بمبادئ الأمم المتحدة وتلتزم بالعهود والمواثيق وفق مصلحة الوطن، وبقرارات مؤتمر باندونغ. وعليه فإن الحكومة الوطنية تسمى منذ الآن (الجمهورية العراقية). وتلبية لرغبة الشعب فقد عهدنا رئاستها بصورة وقتية، إلى مجلس سيادة يتمتع بسلطة رئيس الجمهورية، ريثما يتم استفتاء الشعب لانتخاب الرئيس. فالله نسأل أن يوفقنا في أعمالنا لخدمة وطننا العزيز إنه سميع مجيب.

بغداد، في اليوم السادس والعشرين من شهر ذي الحجة سنة 1377 هجرية، الموافق لليوم الرابع عشر من شهر تموز سنة 1958.

العقيد الركن عبد السلام محمد عارف
القائد العام للقوات المسلحة الوطنية وكالةً

لقد قصد الاستعمار الفرنسي من وراء إلحاق الجزائر بفرنسا، أن يُقطّع أوصال المغرب العربي ليسهل عليه ابتلاعه قطعة بعد أخرى، فإذا بهذا الإلحاق يخلق الخميرة القومية الثورية لتحرير المغرب وتوحيده. وقصد الاستعمار الغربي مجتمعاً من وراء إنشاء (الدولة الصهيونية) إسرائيل، أن يفصل بين أقطار المشرق العربي ومغربه، ويقطع الطريق على وحدتها. فإذا بوحدة المشرق العربي والوحدة العربية، كلها تولد ولادة حية فعالة من نكبة فلسطين[3].

وقصد الاستعمار الغربي مجتمعاً من وراء انشاء (الدولة الصهيونية) إسرائيل، أن يفصل بين اقطار المشرق العربي ومغربه

ومن جهة أخرى كانت الثورة الجزائرية مرتبطة قلباً وقالباً بالقضية الفلسطينية. وما زال الجزائريون والفلسطينيون والعرب يتذكرون مقولة أحد رواد الثورة الجزائرية هواري بومدين: نحن مع فلسطين ظالمة أو مظلومة، وقوله أيضاً: فلسطين هي الإسمنت الذي يجمعنا والديناميت الذي يفجرنا. وكان لهواري بومدين موقفه المشرّف من القضية الفلسطينية، فمباشرة بعد اندلاع حرب تشرين الأول (أكتوبر) 1973، التقى عندها بومدين رئيس الاتحاد السوفياتي الأسبق «ليونيد برجينف» والذي كان غاضباً من حكومة أنور السادات بعد طردها للخبراء الروس من مصر، وقد قرر الزعيم السوفييتي أن لا يمد مصر ولو برصاصة واحدة تواجه بها المحتل الإسرائيلي، لكن بومدين كان حازماً في موقفه كعادته، عندما خاطب برجينف بقوله «الاتحاد السوفييتي سيخسر أصدقاءه من العرب»، فلم يكن في وسع القائد الشيوعي إلا أن رضخ لصاحب «البؤس» - العباء - الأسود، لكنه اشترط أن تدفع مصر تكلفة السلاح حاضراً قبل تسلمها الشحنة، فلم يتردد هواري بومدين حينما أمضى صكاً بمبلغ 200 مليون دولار قيمة صفقة الأسلحة الموجهة لمصر.

هواري بومدين: نحتمع فلسطين ظالمة أو مظلومة، وقوله أيضاً: فلسطين هي الإسمنت الذي يجمعنا والديناميت الذي يفجرنا

كما أن الجزائر بعد استقلالها في 5 تموز - يوليو 1962، فتحت أول مكتب للثورة الفلسطينية في شارع فكتور هيغو بالعاصمة الجزائرية، وهو مقر السفارة الفلسطينية حالياً، وكان يترأس هذا المكتب قائد الكفاح في حركة فتح و أبو جهاد رحمه الله[4].

3 - ميشيل عفلق في سبيل البعث، دار الطليعة، بيروت، 1976.

4 - يحيى أبو بكر: الجزائر من أحمد بن بلة إلى عبد العزيز بوتفليقة، مؤسسة يحيى أبو بكر للدراسات والنشر، بيروت 2012.

هذه عينة عن الثورات والانقلابات العربية التي جعلت القضية الفلسطينية عنوانا لها، والتزمت برعاية هذه القضية، وتحملت مقابل ذلك أعباء سياسية ودبلوماسية ووصلت الأمور إلى درجة نشوب حروب كاملة من أجل فلسطين [5].

5 - الجزائر من أحمد بن بلة إلى عبد العزيز بوتفليقة، للدكتور يحيى أبوكويرا.

تضمن الخطاب العربي الوطني وحتى العلماني غنى في المفردات الفلسطينية، وكانت الإنتليجانسيا العربية لا تستطيع الفكاك عن القضية الفلسطينية، لأن ذلك كان يعني وبكل بساطة الخيانة العظمى للقضية العربية والإسلامية المركزية فلسطين.

وحتى لما بدأت بعض العواصم العربية تدخل في تسويات مع الكيان الصهيوني عبر معاهدات سلام« اتفاق كامب دايفيد واتفاقية وادي عربة» كان المطبعون الرسميون وحلفاؤهم في السياسة والإعلام والثقافة أقلية منبوذة، فيما كان دعاة خيار المقاومة يشكلون الأكثرية في العالم العربي والإسلامي.

اولا: صناع القرار الجدد

لم تكن الثورة التونسية وليدة اللحظة التي فاجأت الجميع عام 2011، بل كانت المؤشرات كلها تشير إلى قرب الانفجار، بالإضافة إلى بلوغ الظلم والفساد أوجهما، وما كانت قد عرفته تونس من انتفاضات في العقدين الأخيرين، مثلت سلسلة من الإنذارات للرئيس بن علي الذي لم يستوعبها وتمادى في انتهاج سياسة القمع.

في أواخر التسعينات من القرن الماضي،اندلعت مواجهات بين المواطنين وقوات الأمن على خلفية مباراة رياضية، انحاز فيها الحكم إلى فريق «الترجي الرياضي التونسي»، الذي رئسه آنذاك سليم شيبوب أحد أصهار الرئيس التونسي المخلوع، وقد ردد التونسيون خلال تلك المواجهات شعارات سياسية مناهضة لنظام الحكم، ومنها شعار «يا زين تلفّت لينا وإلا الجزائر أولى بينا»، في إشارة واضحة إلى سياسة عدم التوازن بين الجهات.

كما اندلعت احتجاجات ومواجهات دامية، أواخر الألفية الثانية من القرن الحالي في الحوض المنجمي بمدينة الرديف، التابعة لولاية قفصة بالجنوب التونسي بين قوات الأمن والسكان، الذين تظاهروا سلمياً مطالبين بحق أبنائهم في العمل، وقد سقط في تلك الأحداث قتيل واحد، وكثير من الجرحى في صفوف المتظاهرين، ووقعت اعتقالات عديدة وتعذيب شديد انتهى بسجن العشرات على إثر محاكمة جائرة.

وشهدت ولاية مدنين الواقعة في أقصى الجنوب، احتجاجاً على إقدام السلطات التونسية على غلق المعبر الحدودي الرابط بين تونس وليبيا، والذي يمثل شريان الدورة الاقتصادية، لأهل الجهة الذين يواجهون تضخم نسبة البطالة، وتدهور القدرة الشرائية بسبب سياسة التهميش.

كل الاحتجاجات هذه والحراك مهد لثورة الكرامة في تونس عام 2011، وكان قيام المواطن محمد البوعزيزي بإشعال النار في جسده بمثابة الشرارة للثورة في تونس.

وقد لعبت حركة النهضة بقيادة الإسلامي التونسي راشد الغنوشي دوراً سياسياً وإعلامياً كبيراً، وفازت بأغلبية مقاعد المجلس التأسيسي في الانتخابات التي أعقبت انتصار الثورة التونسية.

وزير الخارجية التونسي الدكتور رفيق عبد السلام، قال في أعمال المؤتمر الدولي للدفاع عن القدس، الذي انعقد في العاصمة القطرية الدوحة 2012،إن «الثورات العربية ستدعم تثبيت المقدسيين، لأنه من الرسائل الرئيسة لهذه الثورات التضامن مع القضية الفلسطينية»، مؤكداً أن الأعلام التونسية رفعت جنباً إلى جنب مع أعلام بلد الرسالات.

إن«الثورات العربية ستدعم تثبيت المقدسيين، لأنه من الرسائل الرئيسة لهذه الثورات التضامن مع القضية الفلسطينية»

وأكد أن الثورات أفرزت واقعاً جديداً أصبحت الكلمة فيه للشعوب العربية، التي قال إنها متضامنة مع القضية الفلسطينية.

وبدد الوزير التونسي التخوفات من أن تنكفئ الدول العربية على نفسها في ظل واقع الثورات، وقال أيضا «القضية الفلسطينية كانت وستظل حاضرة بقوة وفي قلب المشاغل المحلية».

وتابع: «الشعوب العربية ثارت ضد الظلم والاستبداد الداخلي، وأيضاً ضد الهيمنة الأجنبية، خصوصاً ما تراه جرى ويجري في فلسطين من انتهاكات يومية»[6].

6 - الجزيرة نت، مقابلة، 2012/2/28.

كما أكد بلقاسم الدراجي عضو الهيئة التأسيسية لحركة النهضة في كلمة ألقاها بدار الثقافة بسليانة أثناء زيارة الوفد المرافق لإسماعيل هنية:إن الدفاع عن فلسطين هو عقيدة كل المسلمين، والذود عنها هو صمام الأمان لهذه الأمة، ومن الواجب التصدي للعدو الاسرائيلي.

كما أشاد بشخصيات حركة حماس وباقي الفصائل الفلسطينية، التي نأت بالطريق للشعوب العربية للحرية والانعتاق، وأبرز أن حركة النهضة تتعامل مع كل الشعوب في الساحة الإسلامية[1].

وقد حرم رئيس حزب النهضة التونسي الشيخ راشد الغنوشي إن تونس لن تعترف أبداً بإسرائيل. وقال الغنوشي، في حوار مع المشاركين في «مؤتمر الثورات والانتقال إلى الديموقراطية» الذي تنظمه مركز دراسات الوحدة العربية والمعهد السويدي في الإسكندرية في مدينة الحمامات التونسية، إن حكومة تونس تريد الفصل بين علاقات تونس بالغرب والموقف من إسرائيل.

ورداً على سؤال لجريدة السفير اللبنانية عن موقفه من الاعتراف بإسرائيل، قال الغنوشي: «إنه لا يوجد خلاف بين الحركات الإسلامية، على أن فلسطين هي القضية المركزية» وأضاف: «لن نعترف أبداً لا بالاحتلال ولا بالكيان. ولا داعي للمجازفة فقضية فلسطين موضع إجماع كل الإسلاميين والقوميين».

وعما إذا كان الغرب يوافق على هذا الفصل، قال إنه في كل مرة كان يجتمع فيها إلى المسؤولين الغربيين، كانوا يضعون موضوع إسرائيل على الطاولة. وكنا نقول لهم، إنا لا نريد الربط بين الموضوعين، وإلا سنضع في المقابل مسألة كوبا على الطاولة.

وعما إذا كان واثقاً من أن الغرب اقتنع بذلك أجاب أنهم في الاجتماعات الأخيرة لم يعودوا يثيرون معنا موضوع إسرائيل، مؤيداً أن الغرب ماكر ومناور. وقال: «هذا موقفنا ولن نحيد عنه».

وقال الغنوشي إن من مهمات الثورة تنشيط المساعي لإقامة وحدة عربية، ووحدة المغرب العربي وإقامة سوق عربية مشتركة. وأوضح أنه، في السابق، كانت هناك اجتماعات لمجلس وزراء الداخلية العرب برئاسة زين العابدين بن علي، على أساس أن الأخطار هي من الداخل. وليس من الخارج، في حين لم يكن هناك مجلس لوزراء الخارجية.

الغنوشي: لن نعترف أبداً لا بالاحتلال ولا بالكيان. ففلسطين موضع إجماع كل الإسلاميين والقوميين

ورأى الغنوشي أنه «لا عودة إلى الدكتاتورية، ومن يحمي الديموقراطية هو وعي الشعوب، والشعوب ثارت. لكن الخطر في الصومالة وعدم قدرتنا على تنظيم أنفسنا بحرية. هناك محاولات لحرق مصانع وقطع طرق، أي

الصومالة، هناك فرق بين الحرية والفوضى».

موقف حركة النهضة، التي أصبحت أبرز لاعب سياسي في تونس تبعه موقف الإخوان المسلمين في مصر، والذين فازوا بأغلبية المقاعد في مجلس الشعب مع السلفيين.

وما يؤخذ على الحركة الإسلامية التونسية والمصرية على السواء، هو تقديم أكبر قدر من المرونة، وطمأنة الآخرين أو تحييدهم، وعدم الدخول في معارك خاسرة أو سابقة لأوانها، وتعمل هذه الحركة على إعادة ترتيب البيت الداخلي والإمساك بمراكز القوة، وتأكيد الحضور في مفاصل الدولة، ولذلك لم ير الإسلاميون مصلحة في استعجال استعداء مختلف القوى، ولا في إعطاء المبررات للتدخل الخارجي.

كما أن الدافع إلى هذا الموقف البراغماتي، هو أن تركة النظام الرسمي العربي كانت ثقيلة، والملفات المالية والاقتصادية، والفساد نخر الدولة من أساسها.

فالإخوان المسلمون في مصر، ما زالوا يؤكدون رفضهم لاتفاقية كامب ديفيد والحوار مع الإسرائيليين، ولكنهم يرون أنّ إلغاء هذه المعاهدة، يجب أن يمر عبر المؤسسات الدستورية، وعلى الشعب المصري أن يستفتى في قضية إلغاء معاهدة السلام المصرية - الصهيونية. ويريدون من خلال ذلك التأكيد على أنّ الموقف المصري، ليس مجرد موقف الإخوان وإنّما هو موقف الشعب برمته.

وقد سبق للإخوان المسلمين في مصر، إن نفوا بشكل قاطع ما نشرته جريدة (معاريف العبرية)، من أنّ (إسرائيل) تجري اتصالات بجماعة الإخوان لإقامة حوار معها، وقال محمود غزلان عضو مكتب الإرشاد والناطق الرسمي باسم الجماعة، إن (الإخوان يرفضون رفضاً تاماً أيّ لقاءات أو حوارات أو تواصل مع الكيان الصهيوني)، وإن نشر هذه التقارير هدفه التشويه المتعمد لصورة الإخوان. وأضاف غزلان إنّ الإخوان يرفضون بشكل قاطع (الوجود الصهيوني في فلسطين، ويؤكدون على مطالبهم الثابتة بتحرير فلسطين من النهر إلى البحر)[8].

إنّ الإخوان يرفضون بشكل قاطع الوجود الصهيوني في فلسطين، ويؤكدون على مطالبهم الثابتة بتحرير فلسطين من النهر إلى البحر

8 - جريدة القدس العربية، عدد 2012/12/20

وقد كان للإخوان المسلمين دور فاعل وحيوي في حرب فلسطين 1947-1949. وكانت كتائب الإخوان بقيادة كامل الشريف، قد شاركت بقوة وفاعلية في معارك فلسطين

◄

هناك. ويذكر كامل الشريف أن قوات الإخوان المصرية الحرة، كان قوامها 200 مجاهد في مناطق جنوب فلسطين، وكان يشاركها الجهاد حوالي 800 مجاهد آخر من أبناء فلسطين، تحت قيادتها. وكانت أنشطة شعب الإخوان مشاركة في الجهاد. تبعة الإخوان المسلمين في يافا، وقد كان هناك (تنظيم عسكري سري خاص) تحت أعضاء الإخوان في يافا، شارك فيه عدد محدود من الإخوان ممن يصلحون لهذا العمل، ولم يكن باقي الإخوان أعضاء فيه، أو يعلمون شيئاً عنه. وقد ظهر نشاط الجهادي مع بداية الحرب[9]. وعندما جاء كامل الشريف إلى منطقة يافا مع مجموعة من شباب الجامعات، تولى هو قيادة مجاهدي الإخوان، حيث تجمع تحت قيادته حوالي 100 مجاهد[10].

وتذكر بيان نويهض الحوت زوجة ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت - لسنوات (شفيق الحوت رحمه الله)، أن اهتمام الإخوان المسلمين بتحرير فلسطين كان اهتماماً صادقاً ومرتكزاً على الإيمان الديني العميق. وأسهم الشيخ حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، في توحيد أكبر منظمتين شبه عسكريتين في فلسطين، وهما منظمتا النجادة والفتوة، حيث كان الصراع والتنافس قد احتدم بينهما. وأخيراً باتفاقهما، محمود لبيب وكيل الإخوان المسلمين للشؤون العسكرية مسؤولاً عن تنظيم هذه التشكيلات، التي توحدت تحت اسم «منظمة الشباب العربي». لكن السلطات البريطانية أجبرت لبيب على مغادرة فلسطين[11].

وفي 9 - تشرين الأول - أكتوبر 1947، أبرق الشيخ حسن البنا إلى مجلس الجامعة العربية يقول، إنه على استعداد لأن يبعث كدفعة أولى عشرة آلاف مجاهد من الإخوان إلى فلسطين، وتقدم فوراً إلى حكومة النقراشي، طالباً السماح لخروج من هؤلاء المجاهدين باجتياز الحدود، ولكنها رفضت[12].

وبالعودة إلى المغرب الأقصى وفوز حزب العدالة والتنمية بقيادة الإسلامي عبد الإله بنكيران بأغلبية المقاعد البرلمانية، فهو ما فتئ يؤكد على اهتمامه الكامل بالقضية الفلسطينية. والعلاقات بين حزب العدالة والتنمية المغربي وحركات المقاومة الوطنية والإسلامية الفلسطينية تاريخية، وكان الأمين العام السابق للحزب الإسلامي المغربي الدكتور سعد العثماني، قد تلقى مكالمة هاتفية من رئيس الوزراء الفلسطيني إسماعيل هنية صباح يوم الاثنين 24 يوليوز 2006، أبلغه من خلالها شكره وشكر قيادة حركة المقاومة الإسلامية «حماس» لحزب العدالة والتنمية على

9 - مقابلة مع كامل الشريف، يناير 1978/1398. كامل الشريف، من أصل مصري من مواليد مدينة الخرطوم، يحمل الجنسية الأردنية أسافته أو بوان الخمسينيات في بيت لحم/1948 في فلسطين، عمل الوظائف الإدارية العليا، وتولى مناصب وزارية ودبلوماسية الأردنية، توفي عام 2008.

10 - يعرف الشريف الشهيد بعبد بيت المقدس والقرويين المقاتلين (بيروت: المكتبة العصرية، ج 1، 1974، ص 227.

11 - مقابلة مع يوسف عميرة، القاهرة، 1985/11/5. يوسف عميرة أحد أبناء المستقلين في جماعة الإخوان المسلمين في فلسطين، شارك في حرب 1948 ضمن مقاتلة الإخوان في الدفاع عن منطقة يافا، أحد مؤسسي حركة فتح.

12 - المرجع السابق نفسه.

تضامنه مع الشعب الفلسطيني في محنته، وعلى مناصرته لقضايا الأمة. كما أكد إسماعيل هنية تتبع قيادة حماس لفعاليات الحزب في المغرب، وتكريس مبدأ دعم المقاومة الفلسطينية في المغرب.

ثانيا: التجارب الإسلامية الصاعدة والتأرجح بين الثابت والمتغيرات

لايختلف اثنان في أن الحراك العربي، بدأ عفوياً، ولم يكن بتخطيط مسبق من الإرادات الدولية، وبعد نجاح الثورة التونسية والمصرية، قررت الولايات المتحدة الأميركية التحرك بسرعة على قاعدة نظرية امتصاص الصدمات، لوقف مسار التدافع في العالم العربي وتغيير مساره.

وإذا كانت واشنطن تعمل على حَرْفِ مسار الثورات، لئلا تصطدم مع الكيان الصهيوني في تفاصيل السياسة والأمن والاقتصاد والستراتيجيا، فإن على النخب العربية والإسلامية أن تعيد إلى الواجهة، الثوابت التي قامت عليها الحركات الإسلامية، وهي العداء المطلق للكيان الصهيوني، وعدم التلاعب بالقضية الفلسطينية.

والمشروع الإسلامي للتغيير هو بطبيعته مشروع نهضوي وحدوي حضاري، وينسجم مع طموحات الأمة وتطلعاتها. ولايمكن وبداعي الحرص على الإنجاز السياسي المؤقت،أن يعطي الإسلاميون الطمأنينة الكاملة للغرب، فيما يتعلق بقضايا الأمة وعلى رأسها فلسطين، ولا ينبغي أن تكون نتيجة الطمأنات، هي إثارة القلق لدى المؤمنين بحضارية الإسلام وقدرته على بناء الدولة. كما أن الشارع العربي والإسلامي الذي يعمل على مقاومة الاستبداد، لم يهمل البتة القضية الفلسطينية التي كانت حاضرة بقوة في الميادين العربية الثائرة كافة.

إن الحراك الراهن في الجغرافيا العربية والإسلامية، سيفضي إلى وحدة العرب والمسلمين استعداداً للمعركة الكبرى لهذه الأمة من أجل استرجاع فلسطين

ويشير الكاتب أحمد أبو دقة في مقالة له في مجال المختار الإسلامي، إن الحراك الراهن في الجغرافيا العربية والإسلامية، سيفضي إلى وحدة العرب والمسلمين استعداداً للمعركة الكبرى لهذه الأمة من أجل استرجاع فلسطين.

ويرى مدير تحرير صحيفة السبيل الأردنية عاطف الجولاني، إن هذا الحراك يشكل نقطة تحوُّل في تاريخ الأمة الإسلامية، ويؤسس لتشكيل نظام ◄

إقليمي جديد، سيسهم في الإعلاء من شأن الشعوب ورسم ملامح المستقبل، ونقل الأمة من الواقع السلبي الذي عاشته خلال العقود الماضية إلى الخريطة الدولية. ويقول الجولاني: (أعتقد أن القضية الفلسطينية ستكون الرابح الأكبر لامتلاك الشعوب حريتها، لأنها ستعبّر عن قناعاتها وتوجُّهاتها المؤيدة للشعب الفلسطيني والهادفة لإزالة الاحتلال. ربما يكون الحراك الحالي قد صرف الأنظار عن القضية الفلسطينية قليلاً، لكن حينما تكتمل الثورات سيكون التغير كبيراً).

ويشير إلى أن التغيير الحالي سيؤثر في المستوى الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، ويوفر للفلسطينيين مساندة سياسية عربية، من قِبَل أنظمة الحكم الجديدة في المحافل الدولية.

ويرى كذلك أن الحكومات القادمة ستُجبَر على الإصغاء لمطالب الشعوب، وكذلك فإن ميادين التحرير، ستضغط باتجاه تقديم تسهيلات للشعب الفلسطيني والمقاومة الفلسطينية، ولن نجد أحداً يقبل بأن يكون تآمرٌ على المقاومة الفلسطينية.

ويستذكر الجولاني اللقاءات التي عقدها عسكريون من حماس مع قيادات في الجيش المصري خلال جولات مفاوضات عدة، ويقول: إنها أكدت تغير نظرة القادة المصريين إلى قطاع غزة، ومع اكتمال الثورة ستكون النظرة إلى حركة حماس: أنها قادرة على حماية الحدود بين مصر وقطاع غزة، وستكون العلاقة تعاونية، بدلاً من العدائية التي أظهرها النظام السابق، وهذا سيؤثر على علاقات السكان وسيعزز الترابط الاجتماعي والاقتصادي بينهم.

كل الحركات الإسلامية من طنجة وإلى جاكرتا، تجمع على حرمة التعامل مع الكيان الصهيوني، وتعتبر تحرير فلسطين أولوية

وبعيداً عن البراغماتية والمداهنة والمتاح وغير المتاح في عالم السياسية، والتذبذب بين ثقافة الثورة وضرورات الدولة، فإن كل الحركات الإسلامية من طنجة وإلى جاكرتا، تجمع على حرمة التعامل مع الكيان الصهيوني، وتعتبر تحرير فلسطين أولوية.

وإذا كان الإسلاميون في مرحلة الثورة والمعارضة والنضال لم يتخلوا عن هذه المنطلقات، فالمفترض وهم في مرحلة الدولة، أن يحولوا عنوان تحرير فلسطين إلى شعار ستراتيجي، يسخرون له قوة الشارع وقوة القرار لأجل تكريسه.

ويمكن أن تتحول فلسطين إلى القاسم المشترك المركزي، الذي تتمحور حوله الحركات

والثورات كلها. ومن شأن الالتفاف الستراتيجي حول القضية الفلسطينية، أن يذيب كل الخلافات التي تراهن عليها الإرادات الغربية، لتأخير وصول الثوار إلى أسوار فلسطين ◆